مجلة الحج

France : 5

فرنك : 5

S. I. M. A. F.

ان كنت تحب الرفاهية فعليك بزيارة المخازن الرفيعة
س. ي. م. ا. ف.
59 زنقة جورج ميرسي و 58 زنقة بوسكورة - بالدار البيضاء
— تلفون 42.33 —
فانك تجد فيها فريجديير أرفع المثلجات الكهربائية
وايضا سائر الالات من نوع بورشيير (PORCHER) من
بانيوات وغيرها المشهورة في جميع العالم
وهي المخازن التي يشتري منها صاحب السعادة الصدر الاعظم
وباشا الدار البيضاء

الشركة العمومية
للنقل بالمغرب
عربات منظمة
لنقل البضائع الى سائر الجهات
لها وكلاء ونواب في سائر مدن المغرب
المركز والادارة - بالدار البيضاء
25 طريق اولاد حريز تلفون A 59.61
O. G. T. M.

✲ البدانة ✲

احذروا من البدانة ! ومن واجبكم الوقاية منها بتسهيل الهضم واخراج كل الخبثات التي تجتمع في البطن .
ولهذا الداء استعملوا دائما

✲ ملح الفواكه اينو ✲

المرطبة الخالية من السكر والملح المعدني . ان « اينو » تغنكيم عن المعالجة بالفواكه في جميع الفصول ان استعملت كما يجب وبانظام كبير . فهي تنظم الهضم وتسهل جريان الدم وتصفيه .

خذوا كل صباح ومساء معلقة من « اينو » تحتفظو بصحتكم وتزدادوا نشاطاً وقوة وخفة
تجدونها في جميع الصيدليات * 15 فرنك للقطع الواحد و 25 فرنكا للاثنين

"SEL DE FRUIT" MARQUES — **ENO** — "FRUIT SALT" DÉPOSÉES

حليب مون بلان (الجبل الابيض)
LAIT MONT BLANC

اذا لم يمكن حليب الام فغذوا الرضيع حليباً صافياً صحياً حياً كامل المواد ولا يتغير تركيبه
اعطوه * حليب مون بلان *

وبمجرد ما تظهر السن الاولى فاعطوا الولد الحساء من سميد القمح سهل الهضم كثير الغذاء حلو المذاق ، أعطوه :
* سميد مون بلان *

شركة الفسفاط الاعلى بالمغرب

تصنع انواع السماد المركب على انماط وافق عليها الم. مييج رئيس مصلحة الفلاحة بالرباط .
وهذا السماد المركب يفي بسائر حاجات النباتات ويمكن استعماله في جل الاراضي بالمغرب .
ويوجد على الخناشي علامتان احداهما علامة (الحمار) والاخرى علامة (رأس الاسد) وهذان الصنفان صالحان للقمح والقطنيات والاشجار والخضر .
وتتمتع شركة الفسفاط الاعلى بشهرة هي دليل على جودة مصنوعاتها وتجعل المشترين في أمن من كل غش .
وللشركة (مصلحة) خاصة مجانية لخدمة سائر الذين تهمهم مسألة السماد .
وللزيادة من الاسترشاد خاطبوا :

— شركة الفسفاط الاعلى بالمغرب —

C S P C M

نهج بيجو ٢٩ ـ بالدار البيضاء ـ تلفون : ٢٢-٠٨ A

COMPAGNIE DES SUPERPHOSPHATES DU MAROC

29. Rue Bugeaud — Casablanca

C S P C M

انتزيت

مشروب نافع للصحة ـ معين على الهضم
يبرد غلة العطش كيفما كانت — ليس فيه كحول
يباع في الصيدليات وحوانيت الماكولات وما اشبهها في زجاجات تعمل الواحدة منها عند خلطها بالماء من ٣٠ الى ١٥ ليتر
محل البيع بالجملة بهذا العنوان
PERROT — ANTESITE — VOIRON (France)
ووكيل الدار بالمغرب م. تورنيي نائب انتزيت
صندوق البريد عدد ٢٠١ — بالدار البيضاء

شركة باكي

COMPAGNIE PAQUET

جلالة السلطان في سفره الى فرنسا على أحد مراكب (باكي)
عند وصوله الى مرسيلية
من احب الراحة والامن في السفر فليركب في مراكب
شركة باكي
حجاجنا الى مكة المشرفة ركبوا كلما استطاعوا مراكب شركة باكي
ووجدوا فيها سائر الملاطفات والبرور التام
شركة باكي ـ بالدار البيضاء

السرعة والاتقان في:

المطبعة الجديدة

لصاحبها ف. مونشو
نهج المامونية برباط الفتح

Savon Cadum

كـــــدوم

ان الصابون العادي كثيراً ما تكون فيه الاملاح « الكلين » بكثرة والادهان الفاسدة وغيرها من المواد المضرة التي تذهب قسما كبيراً من الرشح الزيتي الذي هو ضروري لليان الجلد وصحته .

والطريقة التي يمكن بها ان يعرف صفاء الصابون هو ان يجرب على اللسان فاذا احرق اللسان او قرصه فلان ذلك الصابون فيه الاملاح بكثرة فوق الحد ويكون من نتيجة استعمالها تقسية الجلد .

اما الصابون كدوم الذائعة شهرته في العالم اجمع فان صناعته جعلته تـام الصفاء سالما من هاته العيوب وخصائصه الصحية تقوي حيوية الجلد وترجع اليه الصحة وبهاءه الطبيعي .

ثم ان صابون كدوم يفوق غيره ايضاً من حيث الاقتصاد لانه يستعمل كله ويطول مرتين اكثر من الصوابين العادية.

Juillet 1934 — Troisième Année — السنة الثالثة — ربيع الثاني عام ١٣٥٣

مجلة المغرب

MAJALLAT EL MAGHRIB

مديرها ورئيس تحريرها : محمد الصالح ميسة

تثقيفية عمرانية أدبية

Rédaction et Administration
Immeuble Mathias
Rue Jules-Poivre — RABAT

Publicité :
Agence de Casablanca : 137, Avenue Mers Sultan

الادارة والتحرير
ملك ماتياس — نهج جول بوافر — بالرباط
الاعلانات : فرع الدار البيضاء ١٣٧ شارع مرس سلطان تلفون 03.70

Prix de l'Abonnement pour l'année :

Maroc, Algérie, Tunisie, Syrie :	60 frs	
France et Colonies :	100	-
Etranger :	120	-

الاشتراك عن سنة	المغرب ـ الجزائر ـ تونس ـ سوريا	٦٠ فرنكا
	فرنسا ومستعمراتها	١٠٠
	الممالك الاجنبية	١٢٠

فاس — مسجد القرويين

مراكش — منظر بداخل الباهية

هل البربر عرب ؟

وهل لغتهم لغة ضاد اخرى ؟

للاستاذ محمد سعيد الزاهري عضو جمعية العلماء المسلمين بالجزائر

قال الشيخ أبو القاسم : زارني ذات يوم مستشرق فرنسي كان ضابطاً في الجيش ثم أحيل على المعاش ، ولم يكد يستوي جالساً حتى قال : لقد أتيتك اليوم مستفهماً سائلا . فقلت حباً وكرامة ، ولكني أرجو من فضلك أن لا تسألني عما ليس به علم . قال سأسألك عن مسألة من مسائل التاريخ. قال فقلت : ومن قال لك انني من المؤرخين ؟ قال أنا سائلك عما تعلم ، وما أريد ان اشقّ عليك . قلت سلْ . قال : ان المؤرخين العرب الذين بحثوا عن اصل البربر قد ذكروا كل مذهب ، ونقلوا كل قول في هذا الموضوع ، ثم عطفوا على ذلك كله بالنقد والتمحيص فنفوا ما نفوا واثبتوا ما اثبتوا ، ولكن مذهباً واحداً قد اهملوه ، فما تكلموا عنه ولا اشاروا اليه ، وهو مذهب الذين يروْن ان البربر هم من اصل «لاتيني» ، فهل تعلم لما ذا اهملوه ؟ وهل اهملوه متواطئين ؟ قلت : لعل ذلك لانه لا يزال حديث العهد ، وليس المؤرخون العرب هم الذين اهملوه وحدهم فقد اهمله من قبلهم المؤرخون من اليونان بل والمؤرخون من الرومان . قال : نعم ، هو مذهب — كما قلتَ — لا يزال حديث العهد ، لا يعدُّ من العمر الا بضع سنوات ، واذا كان هذا هو عذر المؤرخين القدماء من اليونان والرومان والعرب ، فما بال هؤلاء المؤرخين من العرب المعاصرين ؟ قلت هذا الرأي اقل ما يقال فيه أنه ما زال رأياً مفروضاً لم يقم عليه أدنى دليل يؤبه له من العلم والتاريخ ، فكل ما فعل اصحاب هذا الرأي هو انهم عمدوا الى النقوش والصور التي لا يزال بعض البربر الى الآن يضعونها على الاواني التي يتخذونها من الطين وهي صور ونقوش مصرية لا يشك في مصريتها احد من اهل العلم — فقالوا عنها انها تشبه من بعض الوجوه نقوشاً وصوراً وجدت في ايطاليا واذاً فهي «لاتينية» لا مصرية واذاً فهي دليل على أن البربر هم من اصل «لاتيني» .

... [1] فقال الضابط : انهم جاءوا بدليل آخر على هذه الدعوى ، وهو كلمات والفاظ بربرية وجدوا لها في «اللاتينية» ما يشابهها في اللفظ والمعنى . قال الشيخ فقلتُ : لقد سلك رِنْ Rinn المؤرخ الفرنسي نفس هذه الفلسفة اللفظية واعتمدها وحدها في معرفة اصول البربر ، فجعلهم اوزاعاً بين الامم والشعوب ، وانتهى الى انَّ اكثرهم هنود وآريون ، حتى زعم ان عرب بني هلال الذين جاءوا هذه البلاد هم ايضاً «طورانيون وآريون» ! ! فقال الضابط : ان هذه المشابهات اللفظية بين لغةٍ ولغةٍ لا يمكن ان توجد عفواً من غير ان تدل على شيء ، فكلمة «آرُّوس» التي تعني في البربرية جبلا معيناً قريبة من كلمة «الروس» التي هي اسم روسيا ، وهذا التقارب بين اللفظتين يمكن ان يدل على ان بين البلدين نوعاً ما من التقارب المعنوي ، قلت : الكلمة البربرية هي «آوْرَاسْ» وليست «آرُّوسْ» ، ومع ذلك فان بين «آوْرَاسْ» و«روسيا» صلةً اخرى ، قال : وما هي ؟ قلتُ ان العشائر البربرية التي تسكن هذا الجبل هي عشائر زراعية تعيش من زراعة الذرة ، ومن العجيب ان مزارعها واراضيها لا تزال مشاعة بين رجالها وابنائها يقسمونها بين من يحملون المساحي ، و«يتبعون المحاريث» وهم يتبعون في ذلك نظاماً قديماً توارثوه خلفاً عن سلف يشبه

(١) هنا حذفنا فقرة باتفاق مع الكاتب.

ان يكون نظاماً «شيوعياً» لانه لا يعترف بحق التملك لاحدٍ كائناً من كان ، ومع ان هذا «الوضع» يرجع الى عهدٍ بعيد جدّاً ، ومع انه آخذ في الزوال ، فانه لا يبعد ان يكون مقتبساً من الاوضاع الشيوعية الحاضرة التي تقوم اليوم في بلاد السوفييت ! ثم هو لا يبعد ايضاً ان يكون دليلا على ان البربر هم من «الروس» وليسوا من «اللاتين»!! فضحك الضابط ، وقال : دعنا من الهزل ، غير انه دهش لهذا الاتفاق الغريب ! قال الشيخ : ومضيت احدثه ، واقول : الرومان هم اول من اطلق كلمة «البربر» على هذا الجيل ، يذمونهم بهذا الاسم ، ويعنون به انهم همج متوحشون ، وما كانوا ليذموهم بهذا ، لو انهم كانوا يمتون اليهم بقرابة او نسب . فقال : والعرب ايضاً يذمونهم بهذا الاسم الذميم . قلت : كان ذلك بعد ما اشتهروا به وصار لهم علماً يعرفون به بين الشعوب ، على ان عامة هؤلاء العرب الذين لم يتأثروا بهذا الاسم الروماني لا يسمونهم « البربر » بل يسمونهم « الشلح » يمدحونهم بذلك ، ويعنون انهم اهل نجدة وشجاعة ، وانهم اولو قوة ، واولو بأس شديد ، وما كانوا ليمدحوهم بمثل هذا المدح لو لم يكونوا لهم ذوي رحم وأولي قربى . قال : افتعتقد ان البربر عرب ؟ قلت : يكاد يجمع المؤرخون على أن البربر يجمعهم جذمان عظيمان : البتر والبرانس ، ويكادون يجمعون على ان البتر من ابناء برّ بن قيس بن عيلان بن مضر ، وان قبيلتي كتامة وصنهاجة (من قبائل البرانس) هما من عرب اليمن تركهما افريقش (احد تبابعة اليمن) هنا في ليبيا هذه التي سميت باسمه « افريقيا » فيما بعد ، وذلك حينما رجع من غزوها . وروى ابن عبد البر عن بعض النسابة من البربر ان البتر والبرانس هما جميعاً لاب واحد هو النعمان بن حمير بن سبإٍ . ويرى المسعودي وغيره انهم اوزاع من اليمن وغسان ولخم وجذام وغيرهما من قبائل العرب . وقيل هم من العماليق . وقيل من العبر والفينيقيين وقيل من المصريين الا ان ابن خلدون يرى ان البربر كلهم من ولد مازيغ بن كنعان بن حام بن نوح ، ولا يستثني الا قبيلتي كتامة وصنهاجة الحميريتين . على ان ابن خلدون ليس له دليل على دعواه هذه الا ما حكاه من ان البربر لا يزالون يتسمون « الامازيغ » . وهذا لا يكفي في اثبات هذه الدعوى ، فقد تكون فئة « مازيغية » اندمجت في البربر فغلب عليهم اسمها . وقد انقرض اليوم هذا الاسم بالمرة . الا ان قبيلة بربرية صغيرة لا تزال الى الآن تسمي لغتها « تمازيغت » اي المازيغية » وليس من الحق ان نترك ما يراه جمهور المؤرخين من عروبة البربر . وما يقوله نسابة البربر انفسهم عن اصلهم العربي ، لكي نعتمد هذا القول الذي لا نجد عليه دليلا ، وان رآه ابن خلدون . وها انت ترى ان كثيراً من المؤرخين يرون ان البربر عرب ، وانهم ينزلون من العروبة في صميمها ولست انا وحدي ارى هذا . قال الشيخ : فقال لي الضابط : الآن انحل المشكل . فقلت : واي مشكل ؟ قال الذي حار فيه اكثر الفرنجة الغربيين الذين كتبوا في تاريخ البربر . قلت وما الذي حاروا فيه ؟ قال : امتزاج العرب والبربر امتزاجاً شديداً حتى صاروا في مدّة قليلة أمة واحدة متجانسة الاخلاق والعادات ، وهذا أمر عجب له كتاب الفرنجة اشدّ العجب ، وحاروا في تعليله ومعرفة اسبابه ، وقالوا انه لم يوجد له مثيل في التاريخ ، وها انت قد حللت المشكل ، وقلت ان العرب والبربر هما من عنصر واحد يجري في عروقهما دم واحد ، قال الشيخ فقلت : نعم ، والعرب حين توغلوا في هذه البلاد يفتحونها لم يضطر احد منهم ان يتخذ لنفسه ترجماناً بينه وبين البربر وهذا معناه ان اللغة البربرية لم

تكن يومئذ تزيد على انها لهجة عربية محرفة يفهمها العربي دون مشقة أو عناء وكان يومئذ أكثر اسماء الاعلام عند البربر عربياً ، وهذا « طارق بن زياد » القائد المشهور وفاتح الاندلس ، قد قال عنه التاريخ انه بربري ، وانه هو صاحب الخطبة المشهورة ، ولئن سمي «طارق» باسم عربي في أوائل الفتح الاسلامي ، فقد سمي ابوه قبل ذلك «زياداً» ! وانا لا أشك في نسب طارق ، ولا في نسبة الخطبة اليه ، ولكن هذه الخطبة التي هي آية خالدة من آيات البيان العربي ، هي أيضاً تمثل « النفسية » العربية في أكرم صورها وأسمى معانيها . ومعنى ذلك ان «طارقاً» عربي بطبعه ومزاجه وعربية تلك النفس التي بين جنبيه ، وعرب قومه : هؤلاء الذين يسمونهم « البربر » أو « الامازيغ » .

على أن كل ما قيل في أصل البربر انما ينطبق على البربر قبل الاسلام ، أما هؤلاء البربر المسلمون فهم أصرح في العروبة من بربر الجاهلية الاولى . وهذه ناحية من نسب البربر غفل عنها المؤرخون فما عنوا بها ولا بحثوها ، وأنا أريد أن أعرض لها في هذا المقال ، فقد ذكر بعض المؤرخين الفرنجة ان البربر في منتصف القرن السادس للميلاد قد خسروا خمسة ملايين من الانفس في حروبهم مع الروم البزانطيين وذكر المؤرخون العرب أن البربر خسروا في حروبهم مع العرب ـ أيام الفتح الاسلامي ـ خلقاً كثيراً ، واذا أنت اضفت الى ذلك ما خسروه من قبل ومن بعد في الفتن والثورات ايقنت ان اكثرهم قد تلاشى ، ولم يبق منهم الا فلول وبقايا قد اعتصموا بقنن الجبال ولاذوا بالصحاري ، ثم حدّثنا التاريخ ان موجات عظيمة من العرب قد غمرت بلاد البربر هذه في أوقات مختلفة ، وقد احصيت موجة واحدة من هذه الموجات العربية فاذا هي تربي على مليون نسمة ، وهي موجة بني هلال وحلفائهم الذين نقلهم الفاطميون في القرن الخامس الهجري من صعيد مصر ، وأرسلوهم نقمة على دولة الصنهاجيين الذين كانوا يومئذ ينصرون مذهب أهل السنة في هذه البلاد ، ويضطهدون مذهب الشيعة فيها ، وكانت المذاهب الدينية الاسلامية يومئذٍ بمنزلة الاحزاب السياسية اليوم ، يصطنعها اولو الامر لتمكين نفوذهم وتأييد ملكهم ويتخذها المتطلعون الى العروش والتيجان وسائل ومطايا الى انتزاع الحكم والسلطان .

وكان النزاع بين هذه المذاهب قاسياً عنيفاً في منتهى القسوة والعنف لا يتورّع فيه المتنازعون عن الاغتيال وسفك الدماء ، وكان لكل مذهب دعاة وزعماء قد انبثوا بين قبائل البربر ينشرون دعوته ، ويستعملون كل وسيلة من وسائل الاغراء والارهاب ليحملوا الناس على ان يعتنقوه طوعاً وكرها ، وكان العرب من هؤلاء الدعاة والزعماء «يتبربرون» استمالةً للبربر ، واخفاء لانفسهم ولغايتهم عن «الخلافة» القائمة يومئذٍ وتضليلاً لعيونها وارصادها وكانوا يكثرون التزوّج من النساء البربريات ، استكثاراً للحماة والخوّل والانصار ، وقد اصبح ابناؤهم بعد ذلك « بربراً » أقحاحاً ، وهؤلاء اهالي وادي مزاب في جنوب الجزائر يتكلمون اليوم اللهجة البربرية كلغة منزلية ، ولكنك اذا اطلعت على انسابهم وأصولهم وجدتهم كلهم من العرب الذين «تبربروا» لسببٍ من مثل ما أقول ، ويحدّثنا التاريخ ان الادارسة الطالبيين قد فرّوا الى البربر واندسوا بينهم هم ومن كانوا حولهم من الاشياع والاتباع والمريدين ، ثم صاروا بالفعل « بربراً » وذلك فراراً بانفسهم من سيف هادم دولتهم موسى بن ابي عافية ومن سيوف رجاله الذين أمعنوا فيهم تشريداً وقتلاً . وكذلك ما دالت دولة

الا و « تبربر » أكثر أشياعها وأنصارها ، وكلما قامت دولة الا واندسّ خصومها بين البربر ، واختفوْا من الميدان . و « عملية التبربر » هذه هي عملية بسيطة جدًّا فما هي الا أن يقيم العربي بين البربر مدة من الزمن حتى يصبح منهم . وقد شاهدنا عربًا خلصاً افراداً وجماعات قد اضطرتهم مصالحهم الحيوية أو الحروب الاهلية الى الاقامة بين البربر فلم يكد يمضي عليهم زمن قليل حتى « تبربزوا » عن بكرة ابيهم . واخرى تدل على عروبة البربر ، وهي انهم يحبون العروبة ويميلون اليها كل الميل . وقد قرأنا تاريخ البربر ، ودرسنا حياتهم الحاضرة فما وجدنا في خاصتهم ولا في عامتهم أدنى أثر لهذه « الشعوبية » التي لم تكد تنجو من شرها امة من امم الاسلام الاخرى .

ولقد أسس البربر دولا كبرى في هذه البلاد ، واسسوا في بعض انحائها امارات صغرى ، ولكن لم تقم ولا واحدة منها على العصبية البربرية ، بل قامت كلها على دعوات دينية محضة لا أثر «للبربرية» فيها . واكثر الاسر البربرية التي اسست هذه الدول والامارات ، قد ادعت لنفسها العروبة وادعت ان نسبها يتصل بآل البيت . فبنو عبد الواد ، وبنو زيان ، وبنو مرين ، والموحدون كلهم قد ادعوا انهم عرب ، وانهم من السلالة الهاشمية . أما محمد بن تومرت البربري فلم يكتف بادعاء العروبة وبالانتساب الى آل البيت النبوي الكريم ، بل زعم انه هو «المهدي المنتظر» ، وألفوا كتباً كثيرة في اثبات «شرف» هذه الاسر البربرية مثل «قلائد العقيان ، في شرف بني زيان » وغيره . وهذا ان لم يدل على أن هذه الاسر البربرية هي من السلالة الهاشمية فهو يدل على منزلة البربر في العروبة وعلى مكانة العروبة في انفسهم ، وانا لا أستبعد ان يكون هؤلاء عربا ، ولا ان يكونوا (هاشميين) .

ولو ان ابن خلدون نظر الى اللغة البربرية لكان له رأي آخر في اصل البربر ، واذن لوجد فيها ما يدله على عروبة البربر ، أو ما يدل في الاقل على اصلهم السامي . فهذه اللغة البربرية هي عربية لا في الفاظها ومفرداتها فقط ، بل ايضا من حيث تراكيبها وحروف المعاني فيها . ولا تزال تلازمها بعض خصائص اللغة السامية الاولى ، فضمير الغائب فيها مثلا هو حرف السين فهم يقولون (كتابس) أي كتابه أو كتابها ، ويقولون (معس) أي معه او معها ونحو ذلك ، وحرف العين لا يوجد في كلمة بربرية ، وكل كلمة فيها عين فهي عربية (مبربرة) أو أن هذا الحرف لا يوجد في كلمة بربرية الا في النادر القليل ، ولقد قالوا ان اللغة السامية الاولى يعبر فيها عن ضمير الغائب بحرف السين وانها لا (عين) في كلمة من كلماتها . ومخارج الحروف في البربرية هي عربية خالصة حتى انك لا تجد فيها حرفاً غير عربي . ومن العجب ان هذه اللغة هي ذات ضاد كالضاد العربية تماماً فالفعل المضارع المسند الى المخاطب يختم فيها دائماً بحرف ينطقه كثير من البربر ضاداً عربية فصيحة ، وهناك اسماء بربرية فيها هذه الضاد ، منها : (آضيل) : العنب . (آحبوض) : التمر في لغة . (تيحبوض) : البطن في لغة اخرى . (آقرضال) : العظيم أو الكبير . (آمتشيض) : التين . (إيضارنْ) : الارجل أو الاقدام . قال الشيخ : وادليت الى الضابط بالنتائج التي كنت انتهيت اليها في هذا الموضوع بعد الدراسة المستفضية والاستقراء الشاق الطويل ، وهي ان هذه البربرية ليست لغة مستقلة بنفسها ، وانما هي عربية في اصلها ، قد تحرفت بطول الزمن حتى أصبحت أكثر بعداً عن العربية الفصيحة من هذه اللهجات العامية المختلفة التي تتكلمها الشعوب الناطقة بالضاد . ويجوز مع ذلك أن تكون العربية قد غزت البربرية

وامعنت فيها حتى نسفت كيانها وافقدتها كل الخصائص والمميزات .

ثم قال الشيخ : وما كنت أظن أن هذا الضابط الفرنسي سيعلن في احد المؤتمرات هذه المعلومات ويقرر ان هذه البربرية انما هي عربية من غير ان يشير بكلمة واحدة الى انه اخذ ذلك كله عن هذا الشيخ العربي . وهنا قام الشيخ غضبان آسفاً ، ثم ودّعنا ومضى .

حول الترجمة والتاليف والنشر

الترجمة في الدور العباسي (١)

« الاسباب التي دعت الى الترجمة »

من الواضح أن اول من اشتغل في ترجمة العلوم الإسلامية هو خالد بن يزيد الاموي وكان هذا الرجل ذا مطامع كثيرة وذكاء شديد فلما غلب على امر الخلافة انصرف الى العلوم عله يجد فيها ما يلهيه ويسد مطامعه ، وكانت صناعة الكيمياء رائجة في مدرسة الاسكندرية فاستقدم جماعة علموه الصنعة ولما تعلمها امر بنقل جملة من كتبها الى العربية فنقل له ذلك اصطفن الاسكندري وهذا اول نقل في الإسلام وكان خالد هذا يميل ايضاً الى النجوم والفلك ولعله امر بنقل بعض كتبها ولم يصلنا خبر ذلك.

اما جمهور الامة العربية عندئذ فكان منصرفاً عن الترجمة بما ورثه عن آبائه من شعر وخطابة ولغة ونظيرها ، وما جاءه من القرآن والسنة وما يتعلق بهما وكان العرب حريصين على ذلك ولا يزالون على الفطرة وبقايا البداوة اللهم الا فيما يخص بعض الأوضاع الطبية ، ولم يكن أيضاً بالامر المنتشر وانت تعرف مدى الترجمة عند العرب في صدر دولتهم بما ينقل عنهم من حديث ما سر جويه الطبيب اليهودي البصري المعاصر لمروان بن الحكم ذلك انه ترجم من السريانية كتاب اهرون بن اعين في الادوية فحفظ هذا الكتاب في خزائن الكتب بالشام حتى ايام عمر بن عبد العزيز فحرضه جماعة على اخراجه الى المسلمين للانتفاع به فتردد مدة استخار الله أربعين يوماً ثم أخرجه الى الناس وبثه بينهم ، ومن هذا تعرف منزلة الترجمة والاستفادة من علم الأوائل عند الأمويين ولما تولت الدولة العباسية كانت الحالة على خلاف ذلك وان أردنا أن تبحث عن علة ذلك نراها ترجع لا سباب عديدة أهمها .

١ ميل بعض الخلفاء العباسيين الى الطب والنجوم ، والخلفاء من أقدر الناس على تنفيذ رغائبهم ومن عادة الناس الاقتداء بملوكهم وأمرائهم ، وأول من فتح هذا الباب أبو جعفر المنصور ذلك انه كان مبتلياً بسوء الهضم فاجتهد في ازالة مرضه هذا الذي كان يمنعه من التلذذ بالمأكولات وسرعة هضمها ، ولما عسر ذلك على اطباء بغداد أشير عليه بجلب بعض أطباء مارستان جند سابور وبعض اطباء الهند فجلب من الهند احد اطبائها كما جلب جورجيس بن بختيشوع النصراني رئيس اطباء جند سابور فاستفاد منه وقدر صنعته وجعل له الجرايات وامنه حتى على جواريه وداخل بلاطه لتدينه وشدة احتشامه وثقافته ولهذه الاسباب استطاع الرجل أن يترجم عدة كتب طبية مهمة للغة العربية بعد أن شعر بنقصها في ذلك وكان يحسن اليونانية والعربية والفارسية ، واذا أضفنا شدة انتشار عقيدة النجوم في ذلك العصر ونسبة النحس والسعد اليها وسيطرة هذه العقيدة على الخلفاء يتضح لنا سبب آخر وقد كان المنصور من المتمسكين بها حتى قرّب المنجمين فأخذ هؤلاء يفدون من نواحي البلاد الشرقية ، ومن جملة من وفد رجل هندي عالم بالاوضاع الفلكية وحساب حركات النجوم فعرض على المنصور كتابا في النجوم على طريقة الهند فأمر بنقله وان يؤلف منه كتاب يتخذه العرب اصلا في حركات الكواكب فتولى ذلك محمد بن ابراهيم الفزاري وعمل منه كتابا سماه المنجمون (السند هند) وكان الفرس متضلعين بالنجوم فقرب المنصور بعضهم واتصل المنجم الفارسي نوبخت به اتصالا وثيقاً حتى كان يصبحه حيثما توجه ولما ضعف عن الخدمة لكبره قال له احضر ولدك ليقوم مقامك فاحضر ولده ابا سهل بن نوبخت واذا أضفنا ارتباط ابن المقفع بالمنصور وترجمته له كتب المنطق نعرف ان أول سبب في نشر هذه العلوم هو ميل المنصور وكان هذا الميل الى النجوم والطب ونحوها متسيطراً على الخلفاء بعده واظهرهم الرشيد الذي ازهرت في زمانه الترجمة ، وقد تربى ايضا في احضان البرامكة الذين كانوا ساعداً قوياً في ترجمة العلوم ثم المأمون الذي كان مضافاً الى ميله الى ذلك يدين بمذهب المعتزلة وهو مذهب يرغب في الفلسفة ويحبذها .

(١) عن « مجلة العرفان » — صيدا (سوريا)